**جمهورية العراق / بغداد / الجامعة المستنصريَّة / كليَّة الآداب**

**قسم اللغة العربيِّة / الأدب الأندلسي / أُستاذ المادة أ.م.د قصي عدنان الحسيني**

**المرحلة الثَّالثة/ مسائي/.....1436ـ1437هـ /2015ــ 2016م**

**الأدب الأندلسي في عصر الخلافة الأُمّويَّة** 316 ــ 400 هــ

اعتاد قسم من مؤرخي الأدب الأندلسي أنْ يصفوا عصر الخلافة الأُموية في الأندلس بـ"العصر الذهبي للثقافة" ؛ للنهضة الَّتي شملت **العلوم والآداب** في هذا العصر، وازدهرت **الثقافة بجميع فروعها** نتيجة الاستقرار والرَّخاء ، وكان لتولي عبد الرحَّمن النَّاصر الَّذي حكم من "300 ـ 350 هـ"، ثم ابنه الحكم المستنصر الَّذي حكم من "350 ـ 366هـ" ، أكبر الأثر في دفع هذه الحياة نحو الرُّقي، والازدهار ، فكان عصرهما حافلاً بالوافدين من علماء المشرق بتشجيع منهما ، وعلى رأس هؤلاء الوافدين أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي ت 365هـ ، الذي حمل معه أكبر مجموعة من دواوين الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، وكتب اللغة والأدب المشرقية ، فأحدث ذلك تطورا كبيراً في الحياة الأدبيَّة واللغويَّة لعصر الخلافة الأُموية ، وقامت أول مدرسة لغوية في الأندلس ، ولعلّ من أبرز المعالم الثقافيَّة والأدبيَّة في هذا العصر ، محاولة أبناء الأندلس تأكيد الشخصية الأندلسية ، وتعميق الاعتزاز بالتُّراث الأندلسي ، ولَمِّ شتاته في مصنفات خاصة ، فصنّف ابن عبد البر القرطبي "368 ـ 463هـ" ، كتاباً في (فقهاء قرطبة) ، وصنّف أبو عبد الله محمَّد بن الحارث الخُشَني كان حيَّا بحدود 330هـ (مختلف فيه) ، كتاباً في (قُضاة قرطبة) ، ومن ذلك (أنساب مشاهير أهل الأندلس) ، (وأخبار ملوك الأندلس وكُتَّابهم وخُططها) كلاهما لأحمد بن محمَّد الرازي ت 324هـ ، و (تاريخ علماء الأندلس) لابن الفرضي ، و ( المُنتزون والقائمون بالأندلس ، وأخبارهم) لأحمد بن فرج الجيَّاني الأندلسي ت بعد 350هـ .

أما في **الشِّعر** ، **والأدب** ، فقد صنَّفوا كثيراً ، من ذلك كتاب (الحدائق) للجيّاني ت بعد 350هـ صنّفه للخليفة الحكم عارض فيه كتاب (الزهرة) لابن داود الأصفهاني "255 ـ 297هـ" ، ولكنه جعل كتاب (الحدائق) ضعف كتاب (الزّهرة) ، ولم يورد متنه لغير الأدباء من الأندلسيين شيئاً ، و (أخبار شعراء البيرة) لمطرف البيري في عشرة أجزاء ، و (أخبار شعراء الأندلس) لعبادة بن ماء السماء ، و( أخبار الشعراء بالأندلس ) لمحمد بن هشام المرواني ، و ( طبقات الشعراء بالأندلس ) لعثمان بن ربيعة ، و ( شعر الخلفاء من بني أُمية ) لعبد الله بن مغيث ، و ( طبقات الكتّاب بالأندلس) لسكن بن سعيد ، وبالاسم نفسه لمحمّد بن موسى بن هاشم النحوي .

**النثر**

اتجهت الكتابة عموما إلى الإيجاز، وعدم الاستطراد ، فضلا عن تأثرها بالمفاهيم الإسلامية في المعاني التي جاءت فيها ، وغلبت السهولة في الأسلوب ، والوضوح في الألفاظ ، وكانت تتجه نحو جزالة الألفاظ ، ومتانتها ، واعتمدت على الجمل القصيرة ، والتقسيم في العبارات ، والتقابل بينها ، واستخدام المترادفات ، والمحسنات البديعية باعتدال ومن دون تكلف في ذلك ،وقسّم بعض الباحثين نثر عصر الخلافة إلى أنماط ، وجعلها في أحد عشر ضرباً هي :

**الرسائل الديوانية ، والرسائل الإخوانية ، والمراسلات ، والمحاورات ، والخطابة ، والوصف ، والهجاء ، والمواعظ ، والمناظرات والمنافرات ، والحكايات والرسائل القصصية ، والمقامات .**

وهناك من جعله على نوعين :

**الأول :** **النثر التأليفي :**

كتب فيه الأندلسيون كثيرا من المؤلفات بأسلوب عالٍ ، ولكنهم على الأغلب كانوا يجارون في مناهج مؤلفاتهم المؤلفات المشارقة ، وان حاولوا التفوق عليهم من باب الاعتزاز بالشخصية الأندلسية ، وتأكيد الذات ، ومن خلال تسمياتهم لهذه المؤلفات يتبين تأثير كتب المؤلفين المشارقة في تلك المؤلفات .

**الثاني : النثر الأدبي :**

وهو أسلوب الرسائل والفصول والتآليف في صميم موضوعات الأدب ، وهم يجارون المشارقة في ذلك أيضاً ، ومن المعروف أن كل من وصل إلى الوزارة أو الحجابة كان يتمتع بأسلوب أدبي رفيع طبع كتاباتهم الرسمية طابع البلاغة والأدب ، وفي طليعة هؤلاء الكتّاب :أحمد بن عمر ابن شُهيد وزير النّاصر ، والحاجب أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي في أيام الحكم المستنصر وابنه هشام ، والوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري في أيام المنصور بن أبي عامر ، والوزير عبد الملك بن جَهْور في زمن الناصر.

ومن تآليف النثر الأدبي في عصر الخلافة **(العقد الفريد**) لابن عبد ربّه الأندلسي ، **و (كتاب الفصوص)** لأبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي اللغوي ، وكتاب **(الأمالي)** لأبي علي القالي ، **و (رسالة التوابع والزوابع)** لابن شُهيد الأندلسي **.**

وسنقف فيما يلي على أحد أبرز الكتب في هذا العصر ، ألا وهو :

**1 ـ كتاب العقد الفريد / لابن عبد ربّه الأندلسي :**

يُعدّ هذا الكتاب من المصادر المهمة في المكتبة العربية انتهى ابن عبد ربّه من تأليفه سنة 322 هـ ، ويبدو ذلك في أُرجوزته التي تحدّث فيها عن تأريخ الأندلس ، ثم توقف عند عام 322 هـ ، فهو يمثل الكاتب في نضجه الثقافي قبيل وفاته بستة أعوام .

وقد اختُلف في تسمية الكتاب فرأى عدد من الباحثين المحدثين أن اسمه " **(العقد**) ، ورأى آخرون أنه (**العقد في الأخبار)** ، وأما لفظة (**الفريد**) فقد أُضيفت إليه فيما بعد ، ودليلهم في ذلك المصادر القديمة التي عرّفت الكتاب إذ لم تذكر لفظة **(الفريد)** ، ولعلّ سبب ذلك يعود إلى الإيجاز والاختصار كما هو مألوف لدينا في المصادر فنقول : القلائد ، والجَذوة ، والبُغية ... وهكذا .

ومن **عنوان الكتاب** نعلم أن المؤلف تصور كتابه في صورة عقد حباته فريدة وثمينة ؛ ولذلك جعل أبواب كتابه **بـ(25)** باباً ، وكل باب باسم جوهرة ، واختار **(12)** جوهرة لأبواب الكتاب ، وقابلها **بـ(12)** أخرى ، ثم جعل الواسطة **الـ(25**) ، فلكل حجارة كريمة في العقد مثيلتها في النصف الآخر ، وجعل كل كتاب منها جزأين ، فاجتمع خمسون جزءاً في (**25**) كتاباً ، وبدأها باللؤلؤة في السلطان ، وختمها باللؤلؤة الثانية في الفكاهات والمُلح .

**أما منهجه** : في مادة الكتاب فإنّه يختار ، وينتقي الأخبار التي هي جديرة بالجمع ، ثم ينسقها على وفق الموضوعات المتشابهة في أبواب محددة ، وقد نوّع في اختيار الموضوعات ، ولم يحصرها في صنف واحد .

ومن أهم مصادره في هذا الكتاب فهي تمثل مصادر الثقافة العربية التي سبقته ومنها : **(عيون الأخبار)** لابن قتيبة ، **و(البيان والتبيين ، والبخلاء والحيوان**) للجاحظ ، و**(الكامل**) للمبرد ، **و(طبقات الشعراء**) لابن سلاّم ، **و (السيرة** **النبوية)** لابن هشام ، **و(كليلة ودمنة**) لابن المقفع ، فضلا عن دواوين الشعراء الجاهليين والإسلاميين .

وكان **هدف المؤلف الذي دعاه إلى تأليف كتابه** يتلخص في :

تعريف أهل الأندلس بالمشرق ، ونقل الأخبار والمعلومات من مصادرهم ؛ لأنّ الأندلسيين مغرمون ومعجبون بكل ما هو مشرقي ، وتعريف أهل المشرق بأهل الأندلس ، وعرض ما لا يُستهان به من أخبارهم ، وتقوية ثقة أهل الأندلس بأنفسهم ، وبأنهم قادرون على ما توصل إليه أهل المشرق ، وفي هذا الصدد يقول ابن عبد ربه في مقدمة عقده : **(وقرنت به غرائب من شعري ؛ ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيه ، وبلدنا على انقطاعه له حظ من المنظوم والمنثور) .**

ومن هنا **وُصف الكتاب** بأنه : **(عظيم القيمة من النواحي التاريخية والأدبية والعلمية ، وهو ذخيرة أدبية حافلة بالنصوص القيّمة شعراً ونثراً ... وهو موسوعة ثقافية عربية عامة)** .

ومن **النماذج النثرية في عصر الخلافة** ( 366 ـ 400هـ) ، مثلاَ **(النثر السلطاني) ،** كما يمثله منشور الخلافة الّي أصدره عبد الرحمن الناصر سنة 316هـ ، بصيغة رسالة وجهها إلى صاحب الصلاة بقرطبة بأن تكون الخطبة له يوم الجمعة مستهل شهر ذي الحجة ، ووجّهت إلى جميع عمّاله في الولايات ، ومما جاء فيها : **(بسم الله الرحمن الرحيم ، أمّا بعد فأنا أحقُّ مّن استوفى حقّه ، وأجدر مّن استكمل حظّه ، ولبس من كرامة الله ما ألبسه ، للذي فضلنا الله به ، وأظهر أثرتنا فيه ، ورفع سلطاننا إليه ، ويسّر على أيدينا إدراكه ، وسهّل بدولتنا طرقه ، ...... ، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين ، وخروج الكتب عنّا ورودها علينا بذلك ، إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ، ودخيل فيه ومتسم بما لا يستحقه ، ........ ، فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به ، وأجر مخاطباتك لنا عليه ، إن شاء الله ، والله المُستعان ، وكتب (يوم الخميس) لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة 316هـ . )**

ومن **الكتّاب والخطباء في هذا العصر قاضي القضاة منذر بن سعيد ،** وكانت له مكانة عند الخليفة عبد الرحمن الناصر ، حتّى أن **ابن سعيد انتقد الناصر حين أسرف في تشييد لـ(قصر الزهراء)** ، إذ عرّض به في أول خطبة حضرها الخليفة ، بعد أن شُغِل عن شهود ثلاث مرات ، فاستهل خطبته بقوله : **(أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) فغضب الناصر ، وشرع لا يصلي وراءه ، وحين سأله ابنه الحكم أن يعزله عن الصلاة ، ويستبدله بغيره ، زجره والده ، وقال : (أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه ، لا أم لك ، يُعْزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد ، سالكة غير القصد ؟ هذا ما لا يكون ، وإني لأستحي من الله ، ألا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمع شفيعاً مثل منذر ، في ورعه وصدّقه ، ولكنه أحرجني ، فأقسمتُ ولوددت أن أجد سبيلاً إلى كفارة يميني بملكي ، بل يُصلِّي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله تعالى ، فما أظننا نعاض عنه أبداً)**